



LUND UNIVERSITY

Escalating Of Disappointment In Mahfouz's Stories.

Almahfali, Mohammed

Published in:
Periodical of Mahfouz, Egypt, the Supreme Council of Culture

2014

Document Version:
Förlagets slutgiltiga version

[Link to publication](#)

Citation for published version (APA):
Almahfali, M. (2014). Escalating Of Disappointment In Mahfouz's Stories. *Periodical of Mahfouz, Egypt, the Supreme Council of Culture*, 7, 39. Article 3.

Total number of authors:
1

General rights

Unless other specific re-use rights are stated the following general rights apply:
Copyright and moral rights for the publications made accessible in the public portal are retained by the authors and/or other copyright owners and it is a condition of accessing publications that users recognise and abide by the legal requirements associated with these rights.

- Users may download and print one copy of any publication from the public portal for the purpose of private study or research.
- You may not further distribute the material or use it for any profit-making activity or commercial gain
- You may freely distribute the URL identifying the publication in the public portal

Read more about Creative commons licenses: <https://creativecommons.org/licenses/>

Take down policy

If you believe that this document breaches copyright please contact us providing details, and we will remove access to the work immediately and investigate your claim.

LUND UNIVERSITY

PO Box 117
221 00 Lund
+46 46-222 00 00

المجلس الأعلى للثقافة

٩

مركز نجيب محفوظ

دورية نجيب محفوظ

العدد السابع

ديسمبر ٢٠١٤

محفوظ خارج الرواية



دورية نجيب محفوظ

رئيس التحرير

حسين حمودة

مستشار التحرير

جابر عصفور

سكرتارية التحرير

رحاب لؤي

هيئة مستشاري التحرير

أمانه فؤاد

خيرى دومة

محمود الضبع

هالة فؤاد

يسر عبد الله

الإشراف الفني و تصميم الغلاف

أحمد محمود

المراجعة اللغوية

آمال الديب

لوحة الغلاف

الفنانة: نيفين جندى

رقم الإيداع : ٢٠٠٩ / ٢٣٤٣٨
الترقيم الدولى : ٠ - ٩٨١ - ٩٧٧ - ٤٣٧

المراسلات :

«دورية نجيب محفوظ» - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة

ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ - فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 27352396 Fax 27358084

أو الكتابة على الإيميل :

mahfouz1911@gmail.com

تنويه :

- ترتيب الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- المواد المنشورة بالدورية تعبر عن آراء أصحابها.

مع المجموعة (أ) وفى إطار هذه المرحلة نجد أن الذات ترتكب الكثير من المخالفات التى تعرضها للعقوبة. وهو ما يعنى بصورة ما الإحساس بالخيبة بعدم الوصول إلى حالة الثورى النموذجية التى يمكنها أن تساعد على الترقى من هذه المجموعة. حتى الوصول إلى السيد الكبير الذى يمثل رأس هذا التنظيم. والذى لا يمكن الوصول إليه إلا بالجد والعمل والإخلاص. وقد كان العمل شاقاً فى هذه المجموعة وأكثر صرامة والتزاماً ودقة. وهذا ما قد يسوغ حصول الخيبة لدى الذات. ومع ذلك تنتقل إلى الأسرة (ب) ومع أول لحظة تعارف على أعضاء هذه الأسرة ورئيسها وطبيعتها عملها يكتشف أن المهمة مناقضة تماماً شكلاً ومضموناً. إذ كان على أعضاء هذه المجموعة أن يزرعوا الجمال والحب والغناء. فقد كانت مهمتهم السابقة التصدى للوجه القبيح والانهيال عليه بالكلمات. أما مهمتهم الجديدة فهى التغنى بالوجه الجميل المنشود. فكانت مهمتهم الجديدة اللحن والغناء⁽⁸⁾. وما هو فى ظاهر هذا التصاعد بأنه تصاعد إيجابى باتجاه الانتقال من حالة مواجهة القبح إلى حالة صنع الجمال إلا أن المهمة بدت وكأنها أكثر صعوبة من سابقتها فيتعمق لدى الذات الإحساس بالخيبة. إذ تشعر بأن هذا العمل الجديد فى ظاهره الترف والجمال. ولكنه فى داخله أكثر تعقيداً. فإذا كان يسهل على الذات محاربة القبح ويسهل عليها أكثر محاربة الجمال إلا أن مهمة صنع الجمال مهمة عسيرة جداً ولا يمكن صنعها إلا بصعوبة بالغة. وحين تنتقل الذات إلى الأسرة (ج) تزيد مساحة الحرية فى اتخاذ القرار والإبداع فيه. فيبدو هذا التصاعد إيجابياً. ولكن هو الآخر يسجل خيبة الذات بتحمل المزيد من الشعور بالمسؤولية. فالإتجاه نحو الحرية بصورة كبيرة يزيد من مشاق المسؤولية فيقول: "ولأول مرة أشعر بأن المهمة أشق مما تصورت"⁽⁹⁾. لقد حققت خيبة الذات هنا ليس من انعدام الحرية. بل وجودها لديها بشكل

فأثار اهتمامى لدرجة لم أتوقعها. وحدجته بنظرة داعية للمزيد من الإفصاح. قال:

- لم يكن من مفر من هذا التحذير. ثم ادخل فى الموضوع رأساً!

فقلت واهتمامى يتصاعد:

- أدخل.

فكؤّر قبضته الضخمة وتساءل:

- آتست منك رغبة فى العمل؟

فلمحت أول بصيص نور. وسألته فى دهشة:

- كيف عرفت ذلك؟!

- من متابعتى للمناقشات!⁽⁶⁾ فلم يذكر الدوافع التى تستدعى من الذات كل هذا الحماس ليضحى بنفسه من أجلها. لقد ظلت الدوافع فى خلفية الحدث الرئيس. ومن ثم تتصاعد تلك الأحداث بالتوازي مع تصاعد السرد. وتنظيمه. وعلى الرغم من أن ظاهر النص يتضمن الصراع مع السلطة وأدواتها القمعية. فإن المضمون يتسع ليشمل سلطة عليا. وأن الصراع هو صراع وجود. فالذات أو الشخصيات التى تتحمل هذه المسؤولية تتخذ من الترميز سمات لها؛ ليعطى ذلك فسحة معينة لجعلها تسقط على أى فرد فى هذا الكون؛ ليتسق ذلك مع المهمة التى تقع على عاتق القائمين على هذه المهمة التغييرية.

ينساق القارئ مع رغبة الشخصيات وراء فكرة تغيير العالم "هذا ما تطوعنا للخدمة فيه بدافع تلك الرغبة الجنونية المقدسة فى تغيير الكون"⁽⁷⁾ ويتدرج معه من المرحلة الأولى التى تكون فيها الذات

غير متوقع وهذه الحرية المفتوحة جعلتها كانهدامها تماماً. بل وأشد وطأة.

وبصورة شاملة حين تجتمع الأسر الثلاث يحصل لها التفكك والانهيال وتقبض عليهم الشرطة ويهرب الآخرون. فتكون الخيبة هنا فى اتحاد هذا التنظيم والتئام شمل الأسر. ويتحقق الفشل من حيث كان فى ظاهره النجاح.

من هذه المجموعات الثلاث: (أ)، (ب)، (ج)، تبدو خيبة الذات فى المجموعة الأولى من الصراع بين الذات ورغباتها من جهة وبين تلك الرغبات والمجتمع من جهة أخرى. فى حين تجسد فى المجموعة الثانية الصراع بين القبح والجمال. فيتدرج الأمر من سهولة صنع القبح إلى صعوبة محاربته، إلى مهمة صنع الجمال التى تكون أكثر صعوبة. أما المجموعة الأخيرة، فيتجسد فيها الصراع بين الحرية والتبعية. فإذا كانت الحرية قيمة مرتبطة بوجود الإنسان فإن الحاجة لنوع من التبعية التنظيمية ضرورة لوجود الذات كجزء من منظومة المجتمع والعالم.

وفى نص السيد (س) تأخذ الخيبة بعدها العام فى سياق حياة الذات التى يبدأها النص من حالة سابقة للظهور المادى فى هذه الحياة. فيبدأ النص تسلسل حالات الخيبة منذ الوجود غير المدرك. فتحاول الذات تذكر الماضى قبل الولادة. وهى محاولة تنغيا إيجاد تفسير معين لحالة الألم التى تعيشها اللحظة؛ بما يبين أن تلك الذات تعيش الخيبة الآنية وترغب فى البحث عن تفسير لهذه الخيبة: "ولو سلمت برأيهم لتعذر على معرفة الخطيئة التى ارتكبتها فى زمن سحيق، والتى يكفر عنها شخصى الراهن بمعاناته المستمرة التى لا يجد لها تفسيراً"⁽¹⁰⁾ إن الحياة تمثل بالنسبة للذات صدمة حقيقية وحالة خيبة فقد:

"أصبح الغذاء من هموم الحياة اليومية، والفضاء غير المحدود مدعاة للتأمل، والزمن عيباً لا يستهان به"⁽¹¹⁾ فقد جاءت الخيبة هنا من ثلاثة محاور: الأول يتمثل بأن الغذاء بوصفه مثلاً تختلف حاجات الإنسان قد صار همّاً حقيقياً على الإنسان فى هذا الوجود أن يسعى من أجله. بعد أن كان فى الحالة الأولى فى رحم الأم يتغذى دون أن يكون لديه هذا الخوف من فقدان فى لحظة ما، والمحور الثانى يتمثل فى خيبة إدراك المكان اللامتناهى بعد أن كان محصوراً فى جدار الرحم منغلقاً على عالمه الخاص. فقد تحول من ملك وحيد لعالمه إلى عنصر لا يكاد يذكر فى هذا الوجود غير المحدود. ثم معضلة فهم الزمن وإدراكه. وهذه المحاور الثلاثة تمثل خيبة وجودية خالصة بين عالم الذات فى مرحلة الوجود السابق للحياة ومرحلة وجودها فى هذا العالم.

ثم تأتى بعد ذلك حالة من الأمان النسبى أو لنقل النجاح النسبى فى التصاعد، ويتمثل لذلك فى حزن الأم ودفعه: "ويمر دهر حتى ألف فى الأقمطة وكأنا رجعت إلى موطنى المنسى. وينسكب الدفء فى، ويحتوينى حزن سبتقى ذكراه معى طويلاً. وتمر فترة يتذكرها الحالمون جنة وارفة متناسين متاعبها وأشجانها. من افتقاد الأمان والشعب أحياناً، واقتحام صوت مزعج أو مداعبة قاسية، ورضع الحزن مع لبن أم لا تصفو لها الحياة دائماً وغزو أمراض عدة تفسد مذاق الحياة"⁽¹²⁾ إلا أن هذا الأمان ما هو إلا حالة مؤقتة سرعان ما تتكشف الكثير من النكسات المتلاحقة بدءاً من حضور المنافس فى الرعاية والاهتمام التى يتلقاها المولود الجديد، ثم مع زيادة أعباء الحياة وتراكمها حتى الوصول أخيراً إلى مرحلة الموت. وللمفارقة فإن هذه الحالة الختامية لوجود الذات تمثل حالة من التوازن الإيجابى إذ تعبر عن ذلك: "وانفلت من الجسد إلى الحقيقة المطلقة،

أخرى بحثاً عن تحليلها لكى يكمل مهمته التى يرى بأن الخضر قد كلفه بها. ومع هذا التنقل تبدأ مسيرة الخيبة الأيديولوجية لدى الذات التى تأتى من خيبة التفسير وصعوبة التطبيق لمضمون الوصية. بيد أن الخيبة الافتتاحية فى هذا النص تتمثل بانفراد الذات بهذا الهم. بعيداً عن اهتمام المجتمع الغارف فى النمطية وهمومه اليومية دون النظر بعيداً فى التاريخ لتحليله ولا المستقبل لاستدراك السقوط فى حفره: "وألقيت نظرة على من حولى من السكارى فإذا بهم يسبحون فوق تيار من الهموم المتضاربة ويناقشونها بنداً بنداً بغير ملل. الأسعار، التهريب، الاستيلاء على أراضي الدولة. الثروات غير المشروعة، سوء المعاملة، الطوابير، الديون، النفوذ الأجنبي، القذارة، المجارى، المذابح، وغيره مما لا يحيط به حصر. ولكن لا أحد يتحدث عن مسوخ أو مسوخ المسوخ أو الوحش"⁽¹⁴⁾ إن كل هذه المظاهر المرضية فى المجتمع تعد أعراضاً للمرض وليست المرض نفسه. وهو ما يعنى وجود خلل ما فى الأصل. حاول الذات الوصول إلى تفسيره. وبعد هذا الإحساس تنتقل من جهة إلى أخرى بحثاً عن تفسير للمسوخ ومسموخ المسوخ؛ من أجل قتل الوحش وتخريبهم. فيذهب أولاً إلى السيد "م" ممثل الحزب الوطنى الديمقراطى الذى يخبره بأن المسوخ نوعان: إما الملحدون ومسموخ المسوخ أتباعهم فيكون الوحش هنا هو الشيوعية أو الاتحاد السوفييتى أو التيار الدينى المتطرف ومسموخ المسوخ أتباعهم ويكون الوحش هنا هو إيران وليبيا. وتأتى أول خيبة للذات هنا من استحالة قتل الاتحاد السوفييتى وليبيا وإيران: "وتركته شاكراً وبى غصة من خيبة الأمل إذ مهما تكن ثقتى فى نفسى ورسالتى فمن أين لى بالقوة التى أقتل بها الاتحاد السوفييتى وإيران وليبيا؟"⁽¹⁵⁾ إن الخيبة هنا أمام الذات من التلاعب فى تصوير عدو وهمى يتم تخميله مختلف الاختلالات التى تقع على المجتمع نتيجة لخلل فى النظام

وتجلى لى ما قبل الميلاد وعبورى بالدنيا والمستقر الأخير منظر واحد جامع متكامل كالوردة الكاملة لا يخفى لها أريج ولا سر فثملت بالاستنارة والسعادة الحقيقية"⁽¹³⁾ وهكذا يتجسد فى هذا النص تصاعد الخيبة بدءاً من حالة سابقة لتمظهر الذات فى هذا الوجود وحتى الرحيل إلى عالم آخر. وإن بدت فى الأخير من منظور الذات الساردة حالة إيجابية إلا أنها مشبعة بالمفارقة التى ترى فى الموت قيمة إيجابية. فى حين أنها تمثل الفناء فى مقابل هذا الوجود الملىء بالحياة.

الخيبة الأيديولوجية:

يمكن لأغلب النصوص فى هذه المجموعة القصصية أن تجسد بصورة ما تصاعد الخيبة الأيديولوجية. بيد أن هناك نصوصاً يهيمن عليها هذا النوع من الخيبة. ويمكن تمثيل ذلك فى نصي: "المسخ والوحش". و"الفأر النرويجى".

تبدأ قصة "المسخ والوحش" بحكاية افتتاحية للشاطر حسن الذى التقى الخضر فأخبره عن المسوخ التى حولها الوحش إلى حجارة ولا سبيل إلى تحريرها وإعادةها إلى هيئتها الأدمية إلا بقتل الوحش. وهو بالفعل ما صنعه الشاطر حسن تنفيذاً لتوصية الخضر. فبعد أن يذكر الراوى موجز هذه الحكاية يفتتح القصة بلقاء شخصية غامضة تمزج النبيذ بالليمون. ثم ينسل فى محادثته ليختم الحوار القصير بحديث الشخصية الغامضة للراوى عن المسوخ ذوى المسوخ ولا نجاة لهم إلا بقتل الوحش. وتنصرف هذه الشخصية الغامضة فتستشعر الذات فى نفسها مهمة الشاطر حسن. ولكن انطلاقاً من شروط عصره. كان عليه أن يفهم ما المقصود بالمسوخ ومسموخ المسوخ والوحش. وهنا ينتقل من جهة إلى

الوحش فهو النظام الديكتاتوري. فيبدو هذا الوحش أيسر من الوحوش السابقة. ولكن بالمقارنة بقدرات الذات فهو صعب المنال فينتقل إلى سى أحمد مثل المثقفين فيخبره بأن المسوخ هم الجهلة ومسخوخ المسوخ هم أتباعهم الأجهل منهم. أما الوحش فهو الجهل. فيستسهل هذا الوحش ولكنه لا يعرف كيف يجسده فى شيء يسهل عليه قتله؛ ما يجعله ينتقل إلى العارف بالله الشيخ "ص" فيخبره بأن المسوخ هم عشاق هذه الدنيا الفانية. وأما مسوخوخ المسوخ هم المبهورون بما يملك ساداتهم من زخارف. وأما الوحش فهو النفس الضالة. فيبدو هذا الوحش الأيسر للقتل برغم صعوبته. لقد تدرجت الذات فى البحث عن تفسير يناسب قوتها من الأبعد إلى الأقرب وكانت كلما انتقلت من جهة إلى أخرى فتشت له تلك الجهة عن عدو بدءاً من الاتحاد السوفييتى وأمريكا وانتهاء بالنفس التى توقن أخيراً بأنها الأيسر على المحاربة. ولكن حين يعود إلى مكانه فى الخمارة ويقابله الشيخ ذو العبادة الأرجوانية تجده يعرض عنه فتنتهى القصة بتسجيل هذه الخيبة: "وفى ذات ليلة وأنا أتمل بنشوتى فى مجلسى المختار انتبهت على وجود صاحب العبادة الأرجوانية إلى جانبى وهو يمزج النبيذ بالليمون! وهتفت:

يا للسعادة! لقد جئت أخيراً..

ولكنه لم يعرنى أدنى اهتمام فقلت:

لقد عملت بمشورتك، وها أنا أقاتل الوحش حتى أقتله..

وأصر على تجاهلى تماماً. ولم يلقِ على نظرة واحدة ولم تهب على من ناحيته نسمة أنس أو مودة⁽¹⁸⁾ لقد تصاعدت خيبة الذات الأيديولوجية بدءاً من ذلك التفسير السياسى الذى يوظف الدين

السياسى. فيتم صناعة عدو وهمى يلقي عليه بمختلف الأخطاء. ولكن الذات وإن استشعرت صعوبة قتل هذا الوحش. فإنها لم تكتف بهذا التفسير المؤدلج. فانتقلت للبحث عن تفسير آخر عند السيد "أ" من حزب التجمع الذى أخبره بأن المسوخ هم عملاء الغرب ومسخوخ المسوخ هم الانتهازيون المتحولون عند كل حكومة. أما الوحش فهو الإمبريالية العالمية المتمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية. وهنا تعبر الذات عن صدمتها: "ثم غادرت موقناً بأن الصعود إلى القمر بلا تكنولوجيا أيسر على من قتل ذلك الوحش الجديد"⁽¹⁶⁾ فقد أصبحت الخيبة أكثر قساوة من هذا التفسير الأيديولوجى المناقض للتفسير السابق. فتناقض المشاريع السياسية فى المجتمع يجر معه هذه التناقضات التى تظلل المجتمع وتصلية بصراعاتها العنيفة؛ فتجعل الذات تشعر بهذه الخيبات المتلاحقة باحثة عن التفسير الحقيقى للخلل الأساسى فى المجتمع. بعد ذلك تنتقل بحثاً عن تفسير مقنع فقادت هذه الرغبة إلى متطرف دينى ليفيد بأن المسوخ هم حكام البلاد الإسلامية ومسخوخ المسوخ هم جمهرة المسلمين. أما الوحش فهو نظام الحكم فى البلاد الإسلامية. وهنا يزيد الأمر تعقيداً وتداخلاً فيتم التعبير عن هذا التعقيد بالقول: "خيل إلى أن القضاء على الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة معاً أيسر على من الوحش الجديد"⁽¹⁷⁾ إن هذه التيارات السياسية والسياسية الدينية تربط بين الدين والسياسة فكانت تفسيراتهم متضمنة ذلك. وواضحة للحلول من خلال هذا الربط العجيب. بيد أن الخيبة تصاعدت من الأبعد إلى الأقرب وكانت الخيبة أشد حين وصلت لتفسير المتطرف الدينى. ومع محاولة البحث عن تفسيرات جديدة تنتقل الذات إلى فئات أخرى. مثل الوفد ثم المثقفين ثم المتصوفة. فيخبره الأستاذ "ن" من الوفد بأن المسوخ هم أعداء الوفد ولا أتباع لهم لأن البلاد وفدية 100%. وأما

يمكن متابعة تلك النصوص ذات الهيمنة الاجتماعية في أحداثها، ومنها نصي: مر البستان. وعندما يأتي الرخاء. ففي نص مر البستان. تتابع الأحداث المحصورة بين ثلاث شخصيات. المرأة والذات التي تروى الأحداث. ومحور الحدث. وهو الشخصية الغامضة التي كان ينبغي للذات أن يأتي بها إلى البستان. وقد تتابع النص بتصاعده عبر ما يمكن أن يسمى بالمحاولة والخطأ. إذ تطلب المرأة من الذات أن يصطاد ذلك الرجل بكلام معين ليأتي إلى هذا البستان. وهو المكان الذي توجد فيه هذه المرأة. وبعد هذا الإتيان يمكن أن تدفعه لحصول تغيرات مختلفة قد تنعكس عليها وعلى الذات وربما على مجتمع القصة بشكل عام. إذ تتكثف الرغبة من هذه الحركة في مفهوم البحث عن الأمان. فتحاول الذات التقرب من تلك الشخصية. لكنه في كل مرة يفشل فيعود إلى المرأة خائبًا. وفي كل مرة تعدل له المرأة طريقة اصطيد تلك الشخصية فيعيد المحاولة مرة أخرى. ففي المرة الأولى يقول الراوي: "قدنوت منه وأنا أقول:

- عندي ما يسر العين وتشتهي النفس.

فلوَح بعصاه حتى تقهقرت مذعورًا وقال
بامتعاظ وسخرية:

ماذا قلت يا صاحب السمو؟!

ورجعت إلى داري وأنا أُللم نفسي المبعثرة
وأغوص في أعماق خيبة جامعة⁽²⁰⁾.

فهذه الخيبة يعود بها إلى المرأة فتصح له خطاه المتمثل في تقديم الطعم لتلك الشخصية من خلال صوته الذي خاطبه به كما اعتاد أن يخاطب مرؤوسيه. فلم يقدم لهذا المقام خطابه الخاص الذي يمكن من خلاله أن يستدرجه إلى تلك المرأة المنتظرة

لصالحه. حتى ذلك التفسير الديني الذي يخلط معه السياسي. وصولاً إلى التفسير الروحي الذي يحاول الهروب من الواقع والدخول في أعماق الذات. ولكن مع ذلك لا يصل إلى تفسير مقنع ليحقق به النجاح الموازي للحكاية التاريخية المجسدة في قتل الوحش من قبل الشاطر حسن وحرير المسوخ. إن الذات الآن تكابد همًا حقيقيًا ومعقدًا يأتي من هذه التفسيرات الأيديولوجية المتصارعة والمتناقضة التي تطحن الذات داخل وعاء المجتمع.

وفي قصة الفأر النرويجي⁽¹⁹⁾ تبدأ أحداث القصة بالاستعداد للفأر النرويجي الذي يشكل الخطر الداهم على المجتمع. فتتضافر جهود الجميع لمواجهة هذا الخطر القادم من المجهول. وتزيد الاستعدادات بزيادة التعبئة العامة من قبل السلطات ووجهاء الحارات. وكلما مر يوم زاد التقرب والانتظار لهذا الخطر القادم. ولكن تتمثل الخيبة في عدم ظهوره. وتتشكل الخيبة في ختام النص بالالتباس بين الفأر الذي يستعدون لمواجهة والمفتش. إذ يكتشف الرجل وزوجته بأن هذا المفتش يقوم بدور الفأر النرويجي نفسه الذي تدعى السلطات وجيش محاربه. لقد خسر الناس الكثير من الأشياء وخسروا الوقت والجهد الكثير لمواجهة عدو وهمي وفي الأخير يكتشفون أن السلطات نفسها تمارس سلوك ذلك العدو المزعوم. فتتكرس خيبة مضاعفة. الأولى حين تنطلي عليهم هذه الكذبة الرسمية. والأخرى حين يقعون ضحية لعمل هذه السلطات التي تمارس مهنة العدو المتوهم.

ثالثًا- الخيبة الاجتماعية:

يمكن للخيبة الاجتماعية أن تتشكل هي الأخرى في عدد من الخيبتات المختلفة. فلا يمكن فصل الدلالة الاجتماعية عن التشكلات الأخرى في النصوص. ولكن

فى البستان من أجل تغيير هذا الواقع الاجتماعى الذى تعيشه الذات.

ومرة أخرى يعود للرجل فيقول له: "عندى شىء طيب فى مكان محترم وآمن.

فمضى دون اكتراث بى، ولما هممت بإسماعه صوته من جديد نهرنى قائلاً:

الأجدر أن تدعو الناس للمآثم!

وسرعان ما فطنت إلى زلتى، بل الحق أننى حنقت على نفسى لغلبة المرارة على صوتى⁽²¹⁾

وتكون الخيبة هذه المرة قادمة من الصوت أيضاً وليس من مضمونه، فنغمة الصوت هى من قدمت هذا الفشل، فإذا كان الفشل فى المرة الأولى قادمة من رسمية الخطاب، فإنه هذه المرة قادم من تنعيم الخطاب الذى يحمل الحزن والانكسار، ويجعل الذات تفشل فى تحقيق الأمر الذى قد ينتج لها الأمان كما ترغب.

وحين يحاول فى المرة الثالثة الاستفادة من خطاياه السابقين يفشل للمرة الثالثة، لا بسبب مضمون الصوت ولا شكله ولكن لوقوعه فى أسر المحاولات أساساً، وهى المحاولات التى تتناقض فى الأصل بين شكل المجتمع ومضمونه، الشكل الموحى بالاحترام والتقدير، والمضمون الموحى بعكسه، وكما ينشد الأمان من خلال هذه الحركة المرببة والغريبة، فإن الوقوع فى الخيبة مضاعفاً، الخيبة فى عدم تنفيذ ما يراد سردياً، والإتيان بالرجل إلى عطفة السنبلة، والخيبة فى تحقيق الأمان المنشود، وكما هى أغلب الخيبات المرصودة فى قصص نجيب محفوظ، وحين تكون الذات على مقربة من تحقيق الغاية التى

تمر القصة بأجائها، نرى مرارة الخيبة تسود ختام النص "لاح لى الأمان بوجهه المشرق وراء غيش الظلام، لم يبق إلا التحلى بالصبر، وها هو التلهف يحيل الصبر عذاباً حقيقياً، ومرت الأيام، وعذاب الصبر يتفجر ويزداد افتراساً، وهمى الوحيد هو الانتظار"⁽²²⁾ وهكذا حين تلوح فى الأفق إزاحة خيبة معينة تلوح خيبة أخرى، فحين يلوح فى الأفق الأمان، يسود هم الانتظار، فمن خيبة اجتماعية إلى خيبة أخرى، تتوالى وتتصاعد حتى تسد أفق النص، ولكنها تفتحه سردياً على آفاق مختلفة، فيتناسل الخط السردى من رحم الخيبات المتلاحقة والمتصاعدة.

وفى نص "عندما يأتى الرخاء"⁽²³⁾ تتصاعد حكاية رجل زوجه أبوه مبكراً فأجّب ولدا زوجه أبوه هو الآخر مبكراً، وكان الجد قد خلف بيتاً وأراضى لكنها كلها موقوفة، ولا يستطيع الابن الانتفاع منها ولا من هذه الأموال، فتتصاعد فى هذا النص الخيبة والأمل يتراقبان بشكل عجيب فى مختلف زوايا النص، كما تعيش هذه الشخصية حياة الغنى الفقير فى الوقت نفسه، فهو المالك لكل تلك الأراضى والأموال ولكنه لا يستطيع الانتفاع بها، ومع تدرج النص فى خيبات الذات المتلاحقة، باحثاً عن فتات ليسد به رمقة، وفى الوقت نفسه لا ييأس من المتابعة والملاحقة، "يتلقى بعد ذلك أنباء حل الوقف وتوزيعه على أصحابه وهو طريق الفراش بصفة نهائية، ويسرح بصره فى الغيب طويلاً، طويلاً، طويلاً، ثم يتمتم: حكمتك يا رب.."⁽²⁴⁾ وهذه الخيبة الاجتماعية تشبه إلى حد بعيد بعض الخيبات السابقة حين تصل الذات إلى رغبتها، ولكن يكون الأوان قد فات على أن تسد مواضع الرغبة فى عالم الذات، وبهذا تكون الخيبة مؤلمة، لأنه مع غياب هذا المرغوب يكون الأمل موجوداً فى حصوله بصورة نموذجية فى يوم ما، وهذا الأمل يسد الكثير من الفراغ والعجز فى النفس الإنسانية، ولكن حين

منظور داخلي كما هو في قصة "السيد (س)" الذي يرصد خيباته الذاتية الداخلية التي لا يتعمق فيها في ذاته الداخلية فحسب، بل يعود بها إلى مراحل سحيقة ما قبل ميلاده أو ما بعد موته، فيعود لأصول خيباته ما قبل الميلاد ويتبعها حتى بعد الموت، وهو منظور عميق في الذات الإنسانية تتابعها من الداخل.

وقد تكون الخيبة مرصودة من خارجها كما في قصة "عندما يأتي الرخاء" الذي يتابع خيبات تلك الذات في احتياجاتها الذاتية وعلاقتها الاجتماعية، ولكن مع الاحتفاظ بتلك المسافة التي لا تسمح بالغوص في أعماق الذات.

وهناك ملاحظة تكاد تكون عامة لتساعد الخيبة في هذه النصوص، وهي أنه كلما تحولت الذات إلى مرحلة لاحقة ترى في المرحلة السابقة أنها أفضل؛ ما يولد الإحساس العميق بخيبة الأمل، فخيبة الذات لا تظهر فقط من سوء تحقق رغبتها، بل من رؤيتها لحالتها السابقة أحسن حالاً مما يأتي، فالتحول للمستقبل والتصاعد باتجاهه لا يولد في الغالب إلا أسوأ مما مضى، فالماضي على الرغم من سوءه يظل أفضل حالاً مما يأتي.

خيبة من؟

إنه السؤال الذي يغلف هذه النصوص التي تجسد حركة الخيبة في تفاصيلها وبتشكلات مختلفة، هل هي خيبة المؤلف أو القارئ؟ وهل هي خيبة الراوي أو المروي له؟ وعلى الرغم من ترابط هذا الجواب الممثل لأطراف الخطاب داخل العمل فإنها تتجسد أحياناً في نصوص معينة لصالح طرف محدد، يكون هذا الطرف هو الحامل الرئيس لهذه الخيبة.

فمثلاً في "قصة السيد (س)" تتجلى خيبة القارئ

يحصل المرغوب ونكون قد فقدنا شروط تحقيقه فإن الخيبة قاتلة، لأننا حصلنا على الموضوع وشروط تحقيق الرغبة قد انتهت، ولم يعد هناك من أمل بتحقيقه بشكل أفضل.

التنظيم العام لتساعد الخيبة:

إذا كانت دراسة تصاعد الخيبة في الجزء الأول من هذه القراءة قد اعتمد على الجانب المضموني فيها، فإنها هنا سوف ترصد طريقة تشكيل هذا التصاعد، فمن خلال القراءة يتبين أن التنظيم يتخذ شكلين رئيسيين: الشكل الأول هو البسيط، والآخر معقد.

ففي الشكل البسيط، قد تأتي الخيبة دفعة واحدة كما هي في قصة البستاني الذي ظل يحلم ببيت بحديقة فيعمل من أجل هذا الحلم طويلاً، ولكنه في الأخير ينصدم بخيبة عدم تحقق شيء مما يعمل من أجله، فيعالج هذه الخيبة بتحويل في مسارها من تحقيقها واقعاً إلى تحقيقها حلمًا، ومن ثم تعديل في الرغبة بصورة عامة من الرغبة في بناء بيت وحديقة، إلى تعليم فنون الاعتناء بالحدائق. وقد تأتي الخيبة البسيطة أيضاً عبر تصاعد الخيبات المتلاحقة واحدة إثر الأخرى كما تبين في قصة المسخ والوحش، إذ تتابع الذات محاولاتها وخبباتها من مرحلة إلى أخرى حتى آخر النص.

أما التنظيم المعقد فإن هناك تصاعداً للخيبة عبر مراحل، ثم لكل مرحلة خيبات داخلية، وقد تبين ذلك مثلاً في قصة "التنظيم السري"، فحين كانت الذات تنتقل من حالة إلى أخرى، يكون داخل المرحلة الواحدة تصاعد داخلي للخيبة فيها.

وقد تكون الخيبة منظورة إما من منظور داخلي أو من منظور خارجي، فالرصد لتساعد الخيبة من

يسرد الأحداث. فى ختام النص لا يلمح القارئ أثرًا للفأر. ولكنه يستمع للراوى وهو يقدم حالة المفتش من قبل السلطة وهو يتصرف بسلوك الفأر. ثم يلمح القارئ تلك الخيبة على الراوى الذى هو هنا أداة بيد المؤلف. فتكون الخيبة أولاً هنا خيبة المؤلف الضمنى يتبعها الراوى بوصفه أداة بيد المؤلف. ثم تصل أخيراً لتكون خيبة القارئ.

فى ختام هذه المقاربة لمجموعة (التنظيم السرى) يتبين أن الخيبة ظاهرة فى هذه المجموعة القصصية. انتظمت بتشكلاتها المختلفة. وانتقلت من طور الحالة الشعورية الداخلية إلى طور التجلى الفعلى داخل النصوص. ومن هذا التحول بين المجرى والمحسوس. اتخذت لنفسها معالجات مختلفة فى تشكيلها. ويتدرج يبدأ من الحالة الأولية حتى يصل إلى مرحلة الذروة. ومن البسيط إلى المعقد. ومن الخاص إلى العام. فيكون لتصاعد الخيبة فعل رئيس لتصاعد السرد.

الضمنى الذى يعطيه الرمز (س) بعداً عاماً ليكون أى إنسان هو الحامل لتلك الخيبة. ومع أن الراوى هو الذى يتحدث عن نفسه. فإن هذا الترميز يبعد شبهة النقل الخاص لحالة ذاتية معينة ويعطيها البعد الإنسانى العام. ليكون هنا القارئ هو المسؤول عن تجسيد هذا الرمز. وهو بالتالى الجسد للخيبة حين يضع نفسه مكان الرمز (س) هذا من ناحية. يعضد ذلك من ناحية أخرى. أن مجمل الخيبات التى تتصاعد داخل هذا النص لا تتعلق بمسيرة نمطية خاكي العالم الاجتماعى. بل تغرق فى أبعاد فلسفية ووجودية عميق تغرق فى تفاصيل الذات الإنسانية وتساؤلاتها الداخلية والوجدانية العميقة.

من جهة مقابلة يحكى راوى قصة "الفأر النرويجى" خيبته النهائية التى لا نلمح معها أثراً لهذا الفأر على الرغم من هذه الاستعدادات المكثفة لمواجهته. ولكن تكون خيبة المؤلف الضمنى فى ختام النص. حين تترافق هذه الخيبة مع خيبة الراوى الذى

الهوامش:

- (1) - ينظر: عبد الرحيم الكردى: البنية السردية للقصة القصيرة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط/3، 2005م. ص: 107.
- (2) - ينظر: المرجع نفسه، ص: 18.
- (3) - ينظر: المرتضى الزبيدى: تاج العروس، مادة خيب.
- (4) - نجيب محفوظ: التنظيم السرى. دار الشروق. القاهرة. ط/، 2008م.
- (5) - ينظر: إيجناووم: حول نظرية النثر. ضمن نظرية المنهج الشكلى. نصوص الشكلانيين الروس. تأليف: مجموعة باحثين. ت: إبراهيم خطيب. المؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982م. ص: 113.
- (6) - نجيب محفوظ: التنظيم السرى. ص: 8.
- (7) - المصدر نفسه، ص: 12.
- (8) - نفسه، ص: 18، 19.
- (9) - نفسه، ص: 27.
- (10) - نفسه، ص: 74.
- (11) - نفسه، ص: 75.
- (12) - نفسه، ص: 75.
- (13) - نفسه، ص: 82.
- (14) - نفسه، ص: 94.

- (15) - نفسه، ص: 96.
- (16) - نفسه، ص: 96.
- (17) - نفسه، ص: 97.
- (18) - نفسه، ص: 98.
- (19) - نفسه، ص: 107.
- (20) - نفسه، ص: 38.
- (21) - نفسه، ص: 39.
- (22) - نفس، ص: 42.
- (23) - نفسه، ص: 133.
- (24) - نفسه، ص: 140.